أدونيس : شاعر التعرّف والتردّد والتحوّل

بقلم خليل أحمد خليل

لادونيس ، علي احمد سعيد ثلاثة مؤلفات شعرية : مجموعة وكتابان . مجموعته تدعى قصائد اولى ، وتحتوي على قصائد متنوعة ، ليس لها شكل واحد او روح واحدة ، الا انها تهدف جميعا استقصاء العالم الصغير المحيط بالشاعر ـ الضيعة والاب والموت والحب والوطن . هنا يحاول الشاعر ان يرى ، ان يدفعنا لنرى ونتأكد ان ما نتوهمه وما نعرفه ليس كل شيء في حياتنا . الواقع الذي يقدم نفسه عاريا يحتاج الى بصيرة انسانية ، مخترقة وهائلة ، دافئة ومليئة ، تهز الكيان وتركز اوراق النفس على غصن الكون والضوء .

في « قصائد اولى » بداية النهم والتبصر .. نهم التعلق بالعالم والتوحد به ، والتبصر في شؤون الحرية والعمل والنضال الوطني . أدونيس شاعر يغامر في الكون ، وخارجه وضده . انسان يرى الكل فيرى العالم ساحرا .

شعر ادونيس شعر الكل المطل ، شعر كوني هلامي وصلب في آن واحد . اول رؤيته تبدأ في ابتكاره بعالم لا وجود له فيرى أن ضيعته « تغفو بلا جفن » ويرى ايضا ضيعته تولد وتبكي وتحيا كأنسان فهو يؤسن الطبيعة يقول :

« ضيعتنا تبكي بلا جفن
مصدورة اللحن
تقول هدمت فمن يبني »

الضيعة تتكلم وهذا غير معقول . وهذه ليست بدعة ، انها طريقة عربية قديمة ، تقول : اراد الحائط ان يقع وفعل اراد لم يستعمل الا للانسان . يجب ان نلاحظ ان الانسان العربي شاعر قبل كل شيء وان لغتنا هندسية وعلمية وشعرية في وقت واحد .

الا ان شعر ادونيس ابعد ما يكون عن الشعر الوصفي الساذج . انه احساس وكل احساس تمثل ونضج وتعمق ، وكل تعمق ارتفاع وكل ارتفاع تغير ومعرفة ، حينما يتغير الانسان الادونيسي يتغير معه العالم ويحدث ما لم يحدث .

« كأنما ، من يأسه ، شمسه
تغيب في الشرق »

ماذا يغير العالم سواك يا طفولة ؟ الطفولة انفتاح كياني على المستقبل (الزمن) وعلى الجسد (المكان) . الطفولة حرية تمتد كالالوهة صاخبة طرية حية . بالطفولة يرى الانسان نفسه اكبر من ذاته، ويرتفع فوق مصائب جسده ويومه ومجتمعه ، بالطفولة نبرأ ، فيا طفولة :

« نقلي خطوك في الافق الرحيب
كل خطوه
ملعب يولد فيه المستحيل »

ان حياة الفرد كلها طفولة واحدة في نظر الشاعر . ويجب ان نفهمها بمعناها النيتشوي ـ كما في زرادشت ـ الطفولة هي المقدرة على التحول والتعرف والتكيف ، المقدرة على الانتفاض والتمرد والهدوء والبناء ـ « الطفل حركة جديدة » . هذا لا يعني ان المغامرة الكيانية تمنع الانسان من معاناة الدوار الروحي حيث يبدو طفلنا الرجل :

« متفسخ القدمين ، مسلول الطريق
متيبس الاعماق والدم والعروق
امشي كمن يتقهقر
وبحاله يتعثر »

ان بناء هذا المقطع وصوره له ميزتان . الميزة الاولى للبيتين الاولين انهما خاليان من الافعال ولهما صيغة التقرير والبيتين الاخيرين انهما يحتويان على ثلاثة افعال . ففي الاولين جمود وتيبس وفي الاخيرين حركة وتعرف وتمرد . الطريق مسلول ـ هذه هي العتبة الاولى التي سيمر فوقها ادونيس الى عالمه الشعري الواسع . يباس وجفاف . ويصرخ الجرح في الداخل في الرئة في القلب والحلق والشفتين : « بلادكم ليست هنا » وهذا النداء هو دعوة للثورة ، وكل ثورة تفرد بفهم حقيقة وتعرف من نوع جديد ، شعري غالبا ، هذا النداء توهج وتألق . وكيف يستكين الشاعر ؟ وفجأة يرضى . لقد حصل التغير « ومشى الامام وراءنا » .

الشاعر لا يهدأ . كيف يهدأ وعينه غريبة ليست كعيون الاخرين الجاهزة ، ليست عضوا فحسب. صحيح ان لها وظيفتها كسواها الا انها نبع تحول وجاذبية . العين التي ترى بيت الشاعر « غيبا وراء الغيب » . وترى فراشه « صدىء الحاجبين » وترى الشاعر في الشاعر . العين لغزنا الاول وهي ثروتنا وتراثنا كشعراء . عين تصل الافق بالغد والروح بالصخر وتدفع الزمن تحت اقدامنا فيتحرك الصمت واليأس والحب وتستيقظ البطولة كاله .

وادونيس صديق الجوع والحصير ، صديق الحصير الذي لا يتسخ ولا يبلى ، الحصير الذي « قدرنا البقاء له والخلود ولو تخ عودا وخيطا وشكلا ... » ذاك انه قدر « ان نفير معنى الحياة ... » قدر روحي داخلي ، قدر الابطال أن يهزموا الموت بدمهم . ومحاولته في الخلق الصادر عن معرفة ويقين لا تخلو من قلق مضيء ، قلق محبب كالمصير يأتي شفافا مليئا وكشافا فهو انساني كأخ :

« يا قلقا يولد في طريقي
يا فجر يا رفيقي »

وكيف يمر به الاخرون ؟ يمرون كبارا احياء كشلال عشب، كريمين كغيمة وهو يعطي نفسه قبل كلماته ، يعطي نفسه في كلماته :

« وامس فرشت غطاء لقبر طري
وكنت ركيزة خيمه »

الحب اول وردة روحية تعيش في قارة الجسد ، وترتسم على خرائط الاحساس كنبع يحفر مجاريه ويروي الغابات والاشجار المثمرة والوحشية ، يغمر الحصى ويفتت الصخور ووحدها الاسماك والعصافير والبشر تعرف الماء بعمق وتصير ماء اي خالقا يبتهج بذاته وبغيره . الشعر الادونيسي القادم سيختلف في بعض مناحيه الا انه سيدور حول محور ثابت : الحب . الحب الذي هو الكره والضياع والبحث والرفض والموت والسحر والكواكب والالوهة . كل شيء عجيب . أنني مندهش، مأخوذ ، مرتبط بالاعمق والاعلى . لا تتركوني اكاد اسقط في قطرة الندى : يصرخ الشاعر . ويكمل :

« ما انت الا حلم مبدع غيم في جفني ولم ينجل
تهدر في صدري اسراره يبين لي فيه الذي لا يبين »

***

فما يطبع كتابة ادونيس هو الانفعالية الواقعية في هذه المجموعة،

وقد اخذت على عاتقي كناقد وشاعر مهمة البحث عن ادونيس في هذا العالم من الكلام والحروف من ابجديات الدم والتراب والنودد .مهمتي محددة : كيف يعرف ادونيس العالم ، كيف يربط بـه ويرفضه ، وكيف يتبادلان حيابيهما ؟ ادونيس في العالم ، كيف يربط به ويرفضه، وكيف يتبادلان حيابيهما ؟ ادونيس في العالم . فكيف يسلك فيه ؟ ماذا يحس؟ ماذا يقول لنا ؟ ما هي علاقته بالله والكون والانسان ؟ مهمتي واضحة وليس لي ان اقيم بحثا لغويا ولا ان ابحث فيما اذا كانت قصيدة النثر شعريه أم لا . لقد آن لنا ان نفصل الاحساس الشعري عن فقه اللغة العربيه ، وان كان هذا الفصل مرجلا فهو الحل العملي الممكن لتقديم الشاعر كشاعر لا كعبقري في تخريج الالفاظ وخوانم الكلام . مهمتي ان ارى شعر ادونيس من الخارج – وهذا يفترض الحياد والحياد نوع من الموت ، والشعر حياة – بهذا اخطىء غايتي . نقد الشعر يفترض بادلا حيا بين الناقد المبصر ذاتا والشاعر البارز غرضا . ما يفصل الموضوعية عن الذاتية هو التخيل ، اما الواقع الحي فيربط كل شيء ويمزجه ببعضه . نحن واقعيون في احساسنا وكاباتنا والتخيل هو نمط لواقعنا – هو مستقبل من نوع آخر ، انه الانفتاح .

النقد الحي يفترض الامتزاج ، دون الانحراف ، يفترض التفهم وكل تفهم مشاركة وكل مشاركة تقرب ومحبة . النقد هو تقديم شاعر او كاتب كما هو لا كما نود ان يكون . وكل نقد يفترض شخصا غير موضوعي في اقتراحاته وافتراضاته ، الا ان هذه الاخيرة تصير موضوعية اذا اكدها شعر الشاعر .

اقول ان شعر ادونيس في « قصائد أولى » يغلب عليه طابع الوصف الانفعالي . هذا افتراض لا تقرير . ولنر ذلك موضوعيا اي علميا . فالناقد مهندس حقيقي – يهندس الافكار والاحاسيس والافتراضات ويرفع بناء جديدا للنقد .

يقول ادونيس :

« محرانه يفتح ابوابه
للممكن الاغنى
يبعثر الفجر على حقله
يعطي له معنى »

هذا احساس بالمحراث الفاتح الابواب لكل ما هو اغنى وممكن . والممكن هو المعقول والمستقبل . واذ يبعثر الفجر على حقله فحنـى يضيئه . والاضاءة معرفة ايضا فهي مشاركة للتراب في تفتحه وللنبات في ارتفاعه . الشعر يسير كالحياة بخطى ناضجة قوية ومثلها يموغل. شعر واقعي جدا وسامر مثل اللغز والعمل واليد التي تبني والشهيد والثائر والمناضل . اليس النضال ذروة التحول ؟ وهكذا يبدو الحب طرفا لكل سماء . انه نهاية الاعلى وهو وحده وجهنا الباقي . ولما رأى كيف ناهت عين الارض تأكد أن عليه ، كشاعر ، ان يغير الاشياء بعد ان سئم معرفتها – كما هي – انه يتوق الى سواها .

هذه المجموعة تحمل في طياتها بذور التردد والتحول عند الشاعر، الا انه سيعمق ذلك في كتابيه « اغاني مهيار الدمشقي » و « كتاب التحولات ... » . انه لا يرى الاشياء العادية . ما يراه هو المستحيل الممكن :

« فضيب من الثلج : ها صار نارا
ونز وذابا
وغيب كل دخان وغابا . »

هذا الرائي العارف ، الذي يجعلنا نرى ونعرف ، وهو لذلك نبي ورائد ، يتردد ويتحول مع اشيائه ودونها وبعدها . ويرى كنبي ادغالي ما لم نره ، ما لن نراه ابدا . يرى « الجمر صار عينا لقضيب الثلج والتبغ وجها له » . هنا يلعب الشاعر بالمعطيات قاصدا بذلك الثورة. الثورة تعني ان يغير الشيء دوره ووظيفته ومركزه وبنيته ، ان يثور الشيء ، بروحه ، ضد نفسه ، باحثا عن جوهره . الشاعر هو الانسان الذي يفعل ما لم يفعل . والطبيب هو المنقذ والقائد هو الواجد حلولا جديدة لمشاكل معقدة . ويبطل الثائر والساحر والطبيب والقائد حينما تبطل ادوارهم هذه ، وكذلك الشاعر. الان علينا ان نفهم بعمق ما هي ركيزة الشعر الاساسية . ركيزته الاولى هي البحث والكشف والبصر الاخـر .

وحده الشاعر الحقيقي يرى « في الحجر النائه لون القلق » كل ما يتوقف يموت . حيث نبدأ الحركة يبدأ الله وحيث هناك الوهةهناك قلق . حتى الشاعر الحجري يتحرك . وحده الشاعر يحس بالحجـر النائه ، ويرى « حجر الضوء » وينفش عليه عمره . وقد نتساءل ماذا تعني لنا صورة كـ « حجر الضوء » لادونيس أو «تحت جسر الذرعان» لابولينير . هذا يعني أن الشاعر يريد ان يجسد ما لا يجسد ويقدسه لنا ، يجعلنا نحس به ، لاننا كبشر ، ذوو حساسية محدودة ومتنوعة وامكان الحساسية الانفعالية متيسر لدى الجميع . كل انسان شاعر . وكل شاعر ثورة وحياة . الانسان الباحث هو مجد الانسان الخالد . الوطن الذي نحب هو الوطن الذي يخلقنا ونخلقه – لا الوطن الذي يرقد فوقنا كصخرة او الذي نتاجر به كعنزة .

الارض في نظر ادونيس معبد يتأله فيه الانسان ويرى نفسهكنفسه:

« خلافتي – فأي شيء انا
ان لم اكن ، وحدي ، خلافها ؟ »

وفي الغد يرى بمعرفة صادقه ان « صدورنا تولد مشلولة » فيحزن الشاعر ويكتئب . حزنه نورة وكآبته وعد وكل وعد ارتباط وبرقب لمعرفة . والمعرفة والحب بداية لكل تحول . المعرفة تردد ، قلق ، ضياع ، والضياع كما سيقول « الق وسواه القناع . » ففي « مشروع لتغيير الاشياء » يبرز كل معالم الطريقالادونيسي القادم. يقول:

« امس ، فأره
حفرت في رأسي الضائع حفره
ربما نرغب ان نصبح فكره »

لذلك بعث بلاده ممكن وضروري . ممكن لان الاشياء تستطيع ان تغير ادوارها وكذلك الاشخاص ، وضروري لاننا نكاد نتحطم تحت دواليب الاشياء العفنة التكرارية القاتلة – ضرورية هي النهضة لكنها صعبة وها هو « جرس الشعوب يرسم وجه بلادي بلهيب النبوة » وكل نبوة بشرى ورسالة ونضال . كل نبوة خطة واشتياق وتوق لحياة اخرى . النبوة هي النشوة والعمل هو الحياة . فهنا النبوة هي الفكر والايمان بالفكر والعمل هو الجسد الذي لا يفارق حبيبته الفكرة وهكذا :

عند نجمين على مشرق شعبي
عند قلبي
يخبىء العالم كنهه .

الشعر الادونيسي هو غير التجريد والسريالية والصوفية الكاذبة. انه قبل كل شيء محاولة في خلق انسان جديد في عالم جديد .وهو بذلك اقرب الى الحلاج الشهيد ، منه الى صوفي آخر . انـه روحي انفعالي خلاق ويرى اعمق ما في الواقع ، يرى جوهر العالم من خـلال صفائره ويرى الروح من خلال نفسها . هذا صعب جدا ، ولا يصلاليه الا المتوحدون الباحثون . فالشاعر الحي يعانق ينابيع الضوء والماء والحمى ويكشف لزنابقه ترابا ومناخا لا يشبهه تراب او مناخ .

« صدري مع الشمس ، فأي الذرى
مر بها صدري ، ولم تكبر ؟ »

شاعر مع الاشياء لا ليبثها حزنه برومانسية او فرحه بصوفيـة بلهاء ، بل ليعلن مجد نفسه ، ويرفع راية جرحه الصلدة ، ويعترف بنفسه امام نفسه . ادونيس شاعر فيلسوف . شاعر الاشياء الحية ، التي دخلت في جيشه المنموج . ادونيس يعيش مع الاشياء وكالضوء لا ينبهر . وهذا ما يميزه عن كل شاعر اخر . انه يفعل ويبهر . انه الموسم المنظر . وكل ما يحبه وما يكرهه ينتظره. وهو منفتح بطفولة على العدو والصديق . وحينما يصف العامل يصير اكثر من ساحر :

يا زرعه ، ينبت في جفونه وبورق
كأنه اجنحة مزغبة ترفرف
وفي غد على ضفاف المنتهى يطوف

له السماء جبهة وقامة ومعطف »

أنسن كل شيء ، حتى كان الانسان هـــو الشاعر فقط . والعمل يفترض التعاون ، فلنر ماذا يحدث حين يصير التعاون الانساني هو القانون :

« سر معي يحفر على الارض اليقين والحنين
سر معي نفتح على المغلق بابا وكتابا
« سر معي تشبك على الحلم الجفون
ويكون
كل ما ليس يكون ،

هكذا ينتظم الممكن والمستحيل في سبحة واحدة قصد التعرف على جوهر العالم . التعرف هنا وليد التجربة الوجدانية اكثر منه وليد اتخاذ موقف خاص . العالم في شعر ادونيس هو ابن الحواس والجسد. الاشياء ــ ولا السرطان يفعل ذلك . ولـــو كنت رجل ايديولوجية لقلت العقل وهو يجمع الاشياء ويفصلها كخيط الهي حاضر ــ غائب . العقل اله لا يرى . اين انت ايها الغائب الحاضر ؟ يود الشاعر لو ينضـج سؤاله في فمه ودفعة ينكلم . حجر تحت اللسان وفوقه والحنجرة راكدة كبركة حجرية .

« عبر ايامك في المستقبل
موعد لم ينجل
لك فيه طفلة ترضع ، كالثدي ، السنينا
وتسوي لك يسراها ، من السحر ، يمينا »

ما هو موقفي كناقد من هذا السحر ؟ اسأل ايضا ما هو موقف الطب من السرطان ؟ هنا لا ادعي ان السحر كالسرطان يحول جـوهر الاشياء ــ ولا السرطان يفعل ذلك . ولو كنت رجـــل ايديولوجية لقلت انني ضد او مع . لكنني اقول كناقد علمي : السحر موجود ، ولو كنت امام مريض مصاب بالسرطان ، لقلت : ثمة مريض مصاب بالسرطان . المهم في الامر هو : هل يمكن شفاؤه ؟ كيف ؟ اما ان اسأل ما قيمـة

صدر حديثا :

يا بحر

مجموعة شعرية

بقلـم :

حكمت العتيلي

منشورات دار الاداب

الحياة والشفاء فاصير عندئذ شاعرا او فيلسوفا . اذكركم انني ناقد هنا ، وكل ناقد عالم . مهمتي رؤيه الاشياء وتوضيحها لا تأييدها او دحضها .

وعندما يقول ادونيس : « كل شيء عندنا ينحت صدره » يقول احد القراء لم ار ذلك . هذا غير ممكن نقول امرأة . هذا جميل يقول القارىء الشاعر . هذا نوري وخلاق يقول التائر وهذا تأله يقول الحلاج في القرن العشرين .

بعد أن يكتب الشاعر قصائده يبقى له رأي واحد كسواه . رأي الشاعر في كتاباته هو رأي ما بين الاراء وليس اهم شيء فيها. ورأيي انا هو وليد حدقة خاصة ارى بها العالم الشعري . هذا نقد لشعر ادونيس . وخطأ ان نقول انه النقد . كما اخطأ حجازي وقال عن شعر ادونيس انه الشعر . ال التعريف اطلاق وكل اطلاق مجازفة ومحاطرة وهذا الشعر يمثل نطلعا لجيلنا ما بين المطلعات وشعر ادونيس بعض شعرنا وادونيس شاعر ولا يجوز أن نقول انه الشاعر . غاية الاحساس غير عقليه اما الاحساس فيتم بطريقة واقعية عقلية ومادية .

نهل ادونيس من التراث العربي تراثا غريبا حوله شيئا من ذاته هو . « يد الموت » عنده غير بعيد عن « يد الدهر » التعبير الـذي استعمله أسلافنا . الدهر هو الابدية والموت وهو الاله ــ او الاقوى على الاقل ــ . وادونيس ينفذ بطريقة محكمة الى غرضه في كلماته ــ انه يبوح لنا ببعض نفسه . احيانا كما هو واقعيا ماديا واحيانا كمـا هو واقعيا انفعاليا . وفي كلا الحالتين يقدم نفسه مرئيا وغير مرئي. ادونيس يقدم ادونيس والاخر فيه . انه يعرف نفسه .

« كان اله الحب مذ كنت ــ
ما يفعل الحب اذا مت ؟ »

تلك هي بداية كل شعر جميل احبه العربي او اكثر العرب على الاقل . احبوا المغالاة والمفاخرة ، واحبوا ان لا يقولوا ما يريدون قوله. احبوا ان يحالف ظاهر اللفظ معناه كما قال ابن فارس . في الشعر يتحول المعاش الى بناء ، تتحول الحصى الى هرم والكلمات الى بناء عجيب والاحاسيس تغير مواضعها والزنبقة المغروسة في الصخر تغرس في القلب والعين ترى نفسها وسواها وكالهواء تقترب .

« مرثية ثالثة :

على بيتنا ، كان يشهق صمت ويبكي سكون ــ
لان ابي مات ، اجدب حقل ومانت سنونو . »

لست وحيدا فكل ما هو داخلي وخارجي معي وضدي . يشهـد لي وانكره . ينكرني فاشهد له . اننا اعداء الاصدقاء واصدقاء الاعداء. يسأل الشاعر بارق :

مـن انـا ؟
قال لي ، الان ، صدى منك :
« لا عمر للسر الذي يحكي
عني او عنك »

او يجيب :

« غيمة انت ، غير انك كالغيمة في الافق ، تفتحين السماء . »

ولا يبقى شعر ادونيس سائرا على وتيرة واحدة بل ينقلب ليصف الخارج ويقدمه ببرود احيانا . وهكذا لا يخالف العرب في مخـالفة ظاهر اللفظ معناه . فيضيف الاشياء الى بعضها : الجديلة الى الحب. فتصير جديلة حب . يضيف المادي الى المجرد . والحب وان كـــان متخيلا فهو المتخيل المعاش . ويضيف الجديلة الى العتمة ــ فتصبح سوداء . ولو كان الشعر اشقر لقال جديلة ضوء . او شلال انـوار واحزان . وادونيس يرى الجديلتين مختلفتين لونا ولكنهما :

« كنا فورتين
تشد الشفاه الى حلمتين
الى شفتين »

الشعر يجذب الى الاخر . انه الاخر المظلم المضيء فيه . انـه كالانا والاخر .

« اكتب : حبري صخرة وانملي غبار . »

مسه الجرح فرأى نفسه واشياه تنفير : « حتم ان نفير الارض ـ فما لنا اختيار » وقد حتم على الارض ان تتغير دون ارادتنا ـ يحسن الا ننسى ذلك . والخارج الذي يتحول يحتاج الى امرأة يولد فيها وان كان بحرا :

« حين يموت البحر يبعث في نهدين »

ثانيا ـ شاعر التردد :

نجد في « كتاب اغاني مهيار الدمشقي » محاولة انسان فياقتحام نفسه . ادونيس يرسم روحه وجسده ويكتب اسماءه فوق الماء ونحته ويتردد ـ لا يختار حتى نفسه . مع هذا يستعير لغات الاشياء جميعها ويرى كل شيء . انه نموذج الانسان العالمي ـ انسان البشر ـ وله لغاتهم جميعا . وكأنه استقطب الكل روحا وحجرا وفرخ في ماء قلبه وعاش مخلصا لنفسه في عينيه فرأى ما لا يرى . هنا كشف لعالم لا يتم ، عالم قتيل يتيم متأله . كل اللغات الارضية والكوكبية تتضافر لتكون لغة جديدة هي لغة ادونيس . ويجدر ان اضيف ان التفكير العقلي يغلب على قصائده ، الا انه متصل بشفافية ، بتجربته المعاشة وبواقعه ، فيأتي شعره حارا عميقا . يثير ويرجف ويهدم شيئا فينا . فنسير في اتجاه اخر. الشعر متردد كالشاعر لكنه مكرس للبحث بتوتر ورزانة .

يبدأ ادونيس كتابه بمزامير ـ لا يربطها بمزامير المقدس سوى التسمية ـ . والمزمور هو وصف لمهيار (ادونيس) وتجسيد لاحواله وتقلباته في العالم . فمن هو مهيار ؟ قبل ان نعرفه يجب ان نعرف وضعيته : « ينتظر ما لا يأتي » وضعيته هي وضعية المرتكز على الماضي والممتد في المستقبل كابدية خاصة . انه الباحث لذا فهو « فيزياء الاشياء يعرفها ويسميها باسماء لا يبوح بها » . ويحسن ان نلاحظ ان الله قد علم ادم الاسماء كلها ـ ومهيار هو ادم لكنه اكثر منه : « انه الواقع ونقيضه ، والحياة وغيرها » ولعل التردد ناجم عن عدم ارتباطه ووفائه للاشياء وثقته بها ـ فلقه هو فلق الخالق لا قلق المخلوق . انه اكثر من مهيار . لكن كيف يحيا واين ؟ « محفورة كلماته في اتجاه الضياع الضياع الضياع والحيرة وطنه ، لكنه مليء بالعيون » . فمهيار هو الشاعر الرائي . مهيار هو المبصر فينا ، وهو دمشقي ، اي غريب يأتي من البلاد الاخرى مما يزيد في مأساوية وضعيته . يقترب من الانسان ولا يعتبره كرمز ، ككل بل « يقشر الانسان كالبصلة » وماذا تراه يجد من يقشر البصلة بحثا عنها ؟ هكذا يفقد الاخر موضوع البحث وحدته الكيانية وينهار امام هذا الباحث ـ فتصير الحيرة موضوعية وذاتية ويكبر التردد . ذاك ان مهيار « لا اسلاف له وفي خطواته جذوره » فكيف يصل الينا وماذا يربطنا به ؟ انه لا شيء ولا انسان . انه اللاموجود واللاواقع واللامتجسد ، لكنه من حيث الامكان موجود بجوهره ومتجسد في الانسان ابدا وليس في لحظة . عسى يكون في ذلك مقدرة الانسان على الاستمرار . ولكن هل يمكن ان يكون الانسان ابن ذاته مكتملا بنفسه . هل الطبيعة الخلاقة هي كل شيء ؟ طبعا لا . الثقافة هي التي تجعل الانسان يتميز في بعض النقاط عن سواه ولولا التباين الثقافي ـ التعريف الجديد للتفاوت الانساني ـ لتساوى من حيث القيمة كل الافراد . ويحسن ان نلاحظ ان ادونيس يقصد بذلك انه بر لم يمس . انه ادونيس حقيقي « يأتي كرمح وثني » و « يحتضن الارض الخفيفة » .

ومما يبعد الشك بالوهة مهيار كونه يعيش مع الناس وهو مثلهم الا انه يحس بفجيعته الكيانية فيرى انه « وجه خانه عاشقوه » ومهيار اكثر من تائه ومتردد : « مهيار نافوس من التائهين » وضروري استعمال كلمة « ناقوس » في هذا المجال لايصال الفكرة كما هي بواسطة الصورة. نجد في القرآن الكريم « ويبقى (وجه) ربك » والمقصود «يبقى ربك» فلماذا استعملت كلمة (وجه) . نفهم من هذا ضرورة تجسيد نوع البقاء وتشخيص الاله . وكذلك عند ادونيس ، نفهم نوعية مهيار ـ انه نافوس من التائهين فهو هيكل يقصد لا آت ليركع . وهو يحيا لانه مرتبط بالاشياء وحينما يفقد خيطها تنطفيء « نجمة احساسه » .

رغم هذا فهو قادر على الالتقاء بالتائهين ليعلن بعث الحياة معهم وباسمهم .

كيف يعيش مهيار ؟

« يأكل حين يجوع جبينه
ويموت وتجهل كيف يموت الفصول
خلف هذا القناع الطويل من الاغنيات . »

انه يعيش حائرا خلف مخلوقاته الجريحة (اغنياته التي صارت قناعا له ووجها) . وماذا يفيده ان يسكن في قرار الحياة طالما انه لا يجد يدا تمتد اليه ورغيفا يأكله بمحبة . مأساته نابعة من انفراده وعدم التزامه المباشر انه لا ايديولوجي . فلسفه صيرورية اكثر منها كيانية، لذا فهو متردد وجدلي كالبوذيين وعدمي كالاغريق ـ رغم كل آلهتهم الضائعة بين الماء واللوغوس . يلتقي الموت والعدم والبعث في صميم الكائن ، يستشعر ذلك فيصرخ :

« وليحترق مهيار »

تردده نابع اذن من تعمقه وتفهمه لقشرة الانسان وطبقاته :

« انه كاهن حجري النعاس
انه مثقل باللغات البعيده »

والتائهون قدره وقجره ومصيره . التائهون مخبأ وها هو « في لهفة التائهين يختبيء » لكن ما الذي جعل مهيار يعتقد انه مختلف عنا ؟ في الدعاية السياسية يقال عن الزعيم انه متواضع ويحب كل المواطنين (ومع ذلك) فهو مثلنا . لكن من قال بعلوه فيوجب نفي ذلك. ومن قال بالوهة مهيار حتى يقول عن نفسه « انه مقبل ، انه مثلنا » .

بكلمة : مهيار انسان غير عادي . انه نيتشوي ويرفض كشيعي المؤسسات السياسية والدينية ويجعل الحيرة مستقبله .

« هوذا يرفض الامامه
تاركا يأسه علامه
فوق وجه الفصول »

يأسه هو الباقي والحي . اما الانسان ـ الامل فيموت تحت الفصول كجذور صدئة . وبفضل حيرته هذه سيصنع المعجزة ويتخطى ضعفه وحضارته .

« لانه يحار
علمنا ان نقرأ الغبار »

وقد يسأل ماذا نستفيد اذا قرأنا الغبار ؟ وانا لا اجيب الا بالسؤال التالي ماذا نستفيد من المعجزات التي صنعها الانبياء ؟ وهنا نطرح مشكلة علاقة الشعر بالنبوة .

« ما لكم ؟ ان مهيار ضاع
فك الغازه ورماها
حجرا في كتاب الغبار »

هذا يعني انه انتقل الى حيرة اخرى . الشاعر كما يقول ادونيس نبي وشكاك . وهو اكثر من ذلك ، انه المخترق العظيم .

« انه الخالق الشقي
ان احبابه من رأوه وتاهوا »

امام الصراع الحياتي تبدأ حقيقة الشاعر ـ خاصة الصراع الدموي المأساوي . الا ان ادونيس يكتشف اعداءه ويبتكرهم . انه عدو نفسه ! فهل هذه هي ميزة الخلاق ؟ الشاعر هو الموت الباطني فيأتي ادونيس « خالقا من خطواته اعداء له » العدو هو كياني ـ ما نتجه هو عدونا . والعدو هو الغريب والاجنبي والصديق . عدونا هو ما نعرفه وباعث قلقنا هو ما نجهله . لذا فادونيس يرى انه الموت : « امحو وانتظر من يمحوني » لا شيء ثابت . لا اصرار ابدي بل صمود مرحلي ـ بعد اللحظة تغير الاشياء وجهها وترفع قناعا اخر لها . وسط هذه العالم المتشابك المرتبك بعفويته وطفولته ومكره وحروبه ومجاعته وامراضه وعبودياته ، يستنفر ادونيس روحه لتحارب . « ... لا شريان عندي لهذا العصر ـ انني مبعثر ولا شيء يجمعني » ... « اخرج واكتب

اسفار الخروج ولا ميعاد ينتظرني . انني نبي وشكاك » .

هوذا ادونيس وردة مغلفة منفتحة تبهر الشمس وتنبهر يلمسها الندى فتضيء وتنطفيء ، تلمسها النار فتخجل وتثور . فماذا يفعل ؟ « اترك الماضي في سقوطه » اي يترك كل صفاته ، كل ما كان عليه ، يهجر واقعه ، « واختار نفسي » وهذا الاختيار غير موضوعي فهو مستقبلي اولا وصيروري ثانيا . فاين يعيش من يهجر ماضيه ويسكن نفسه التي هي الموت حقا ؟ كيف يكون الشاعر حجة ضد عصره ؟ هنا نطرح مشكلة دور الشعر في تحويل الاشياء . هل ترتفع الكلمة الى مستوى الاشياء وهل كل شاعر كلمة ؟ مهمة الشاعر انسانية قبل كل شيء ، تتجه صوب جذور الكائن واولها الانارة . دور الشعر هو اثارة الحياة فينا ومحبتها ، لنحيا في ارضنا ومن اجلها ، لنعيش مع شعبنا ومن اجله . الشعر يدفعنا للالتزام الواعي ، للاحساس بمأساتنا وسقوطنا المرحلي . وماذا يفعل الشاعر ؟ يقول ادونيس : « اغسل داخلي وابقيه فارغا ونظيفا . هكذا تحت نفسي احيا . » فهل يمكن تسمية هذه الحياة حياة انسانية ؟ الحياة الانسانية تفترض المشاركة ، الحياة مع ، الاحساس بالاخرين ، والحياة من اجلهم . « انا مسيج بنفسي » فهل حماية النفس تتيح لها ان تحب وما معنى الحب هنا ؟

الحب هو تقدمة الانا للانت والانتم ، للاهل والناس مهما كانوا . بالحب نتخطى فيودنا اليومية وانانيتنا . الحب نبصر وهو مختلف عن الضياع الغبي الذي يسمى الحب الاعمى . الحب في اساس المعرفة . الحب جدل عقلي ولاعقلي ـ جدل حياتي . الحب سامبيوز ـ تبادل حياتي وحماس لحرارة الحياة الانسانية وايمان بها . الحب نضال وسلام . الحب حوار .

« وها انا اعلم الحوار
للريح والنخيل
يا جرح يا يمامة الرحيل »

الحب هو الجرح . هو اقرب شيء الى الروح الحية . الحب هو ماء النهر ، وثمر النبات حيث كل بذرة تحمل النبتة وكل نبتة عطاء وكل عطاء الوهة ومحبة . وحيث تموت الآلهة تبدأ محبة ادونيس البشرية ـ عكس كل محبة دينية واخلاقية ـ فقد مات الاله كما اعلن موت نيتشه والعدميون من ذي قبل ، الاله الذي كان « يهبط من جمجمة السماء ». لكنه يبحث عن آلاله . يرفض اله الجميع ، اله الركود والانحطاط لينصل باله الاعماق واليأس ، انه التردد والذعر ، اله الداخل ، الكاشف للخارج ، حيث نصير عينا الشاعر عينين للرؤيا :

« عيناي من عشب ومن حريق
عيناي رايات وراحلون »

وهو يضحي بوجهه وحياته في سبيل النار . والنار لفز في شعر ادونيس . فما هي النار . هل هي النار العادية ؟ طبعا لا . نار المجوس؟ لا . انها رمز للنقاء . نقول بالعربية « وبخارها نارها » اي سمة الشيء ناره . واهمية الانسان ناره عند ادونيس اي نقاؤه وشخصيته وتحرره ومقدرته على الارتفاع كصقر .

« الله ما اجمل ان يضيع بي وجهي وان اضيع
ممتلئا بالنار . »

ادونيس شاعر النظافة الروحية نيتشوي ـ بعيد عن الآلهة والشيطان . يرفض كل ما يغلق عينيه ، انه قبل كل شيء شاعر . وكشاعر يمجد نفسه برؤاه . وها هوذا يصير « خطيئة وخاطئا يحيا بلا خطيئة » فكيف يحدث ذلك . هذا لغز بسيكولوجي .

« لي اسراري لاحيا
تحت اهداب اله لا يموت »

وكل خروجه من نفسه هو فتح لنفسه وكشف عميق لها . انه يغيب ، يهجر كل شيء حتى مستقبله ، يتحرك تحت جرحه ، يصير كالاشياء ، وله لغة الفصول . واذا سألته المرأة المحبة :

« اي ضوء تحت اهدابك يبكي ؟
اين كنت ؟ »

لا يجيب بل يكتفي بوصف ما رآه بحزن وفرح وبكاء وحيرة وخوف ـ الخوف الذي هو الصلاة .

« كانت الليلة كوخا بدويا والمصابيح قبيله
وانا شمس هزيله
نحتها غيرت الارض رباها
والتقى التائه بالدرب الطويله »

هوذا يلتقي بدرب التائهين ، تائها كحجر الا انه يضيء . فهو كالشمس ، فكرا وشعرا ، يضيء الاشياء وهذا كل معنى وجوده وبقائه في الارض ، هذا هو المعنى الحقيقي الذي يربطه بالارض . ادونيس هو شاعر الارض والضوء ، شاعر الزنود والحصاد ، شاعر الخصب والموت والانبعاث الحقيقي ـ اي الباطني . انه شاعر يحترق .

« انتظر الله الذي يحار
يغضب يبكي ينحني يضيء
وجهك يا مهيار
ينبيء بالله الذي يجيء . »

الاله المنظر انساني وله تصرفاتنا فما الذي يفصل الانسان عن الاله . الاله داخل الانسان لا خارجه . اله هو الانسان الباحث ، المرتفع فوق جسده ليرسم طريقا لروحه بجسده ـ روحا بمسوى الجسد والارض والحياة . الحياة التي هي الجسد والارض . اين هو خيط حياته . انه ضائع والمردد مستقبله .

« اسلمت ايامي لهاوية
نعلو ونهبط تحت مركبتي
وحفرت في عيني مقبرتي »

محاول في احتلال نفسه هو ادونيس . فبينما تبحث الشعوب عن استقلالها ، يبحث ادونيس عن استقلاله كشخص وقيمة انسانية ، وهذا الاستقلال ـ كما يتراءى لي ـ هو في اساس أي استقلال اجتماعي صلد . استقلال الوعي الفردي هو قاعدة الاستقلال الجماعي . فاين يسن ادونيس ومن هو رفيقه الوفي ؟

« اسكن في هذه الكلمات الشريرة
واعيش ووجهي رفيق لوجهي
ووجهي طريقي »

شاعر يعيش في كلماته مع وجهه، يعيش في عينيه فيرى كل العالم. لا شيء غائب عنه . حياته حضور والاخرون الغياب . وهو غير آسف على حياته هذه بل مغتبط بها ، انها سعادة حجرية ، كهفية مضيئة .

« يكفيك ان تعيش في الماء
منهزما اخرس كالسمار »

الانسان السماري يعيش في الارض بلا معاد او ميعاد . الرحيل تاريخه والغربة مستقبله والتحول بلاده . انه شاعر مفجوع بوجوده قبل ان يفجع بآمال المجتمع . الانسان هو السقط والتشرد . وواجبه الوحيد هو الارتفاع ـ والارتفاع نضال . وما يؤلم حقا هو ان الارض تعرف كل العابرين الا الشاعر . الارض حبيبة الشاعر تنكر له وتخونه كزنبقة . ذاك ان الانسان يخون ذاته والارض هي الانسان . اعمق صوفية ترابية تحتضن البذر والماء والضوء ـ وتسمي الثمرات الوهتها . وها هو يأبى:

« اجيء من ارض بلا حدود
محمولة فوق ظهور الناس ،
ضعت هنا وضعت مع قصائدي هناك
وها انا في الرعب واليباس
اجهل ان ابقى وان اعود »

● الشاعر هو الاول والاخر . انه المجول الكاشف . انه الساحر . « شجرة تغير اسمها وتأتي الي ، حجر يغتسل بصوتي ، سهل يكتسي باوراقي ـ هذه جيوشي وسلاحي العشب ... انقش وجهي على الريح والحجر ، انقش وجهي على الماء ... الخ... » الشاعر غريب يكتشف غرابة العالم واسراره ويتوغل في ارض الاشياء ودمها وزمانها. يتحدر

من سلالة الحروف ويخترق بالدم ارض الغياب والحضور ـ وبين باب نفسه وباب الاشياء يرسم بالسحر طقوس حياته يبتعد اذ ان البعيد يبقى ومهما سافر ونأى ، روحا وتطلعا ، فهو لن يصل لانه ممتد ولا ينتهي . انه شارة على طريق الابدية ، انه رمز يضيء ، حجر في جدار الحياة المشرقة .

« اترك الوطن المليء بالسواد ، المليء كالبيضة حيث لا مكان للشمس » . فعندما يصير الوطن بيضة ، تستمر عملية التناسل والجنس البشري لا ينعدم الا انه يفقد جوهر وجوده : الحرية . فادونيس عندما يرفض الوطن ـ البيضة او حينما يتساءل في كتاب التحولات صفحة ٢٥٦ ، في شجرة :

« لماذا الانسان حين لا يكون للانسان اسم ولا هوية ؟
لماذا المكان حين يكون مقفلا ، مليئا كالطبل »

فانما يلح على ان شخصية الفرد وكيانه وكرامته وحريته هي البقاء وعبودية الامتلاء الجاهل هي الفشل والسقوط . الهزيمة تدعي الجبن وعدم التطلع . الانسان الادونيسي انسان اعماق لذا فهو افق نفسه. وما يحير نفسه هو هذا البحث عن اللقاء عن العناق مع الله والعالم والبشر ، العناق الوثني الذي يزيح عنه ثقل الحجر الرابض فوق عينيه . شاعر يبحث عن رؤاه بوله وكل وله امتداد صوب الافصى وتعمق فيه . وهو اذ يسافر فانما يحمل الاشياء ذكرى وجهه ، يترك نفسه لغيره ، انه الضحية التي تقدم نفسها : « مسافر تركب وجهي على زجاج فنديلي » .

وكل تضحية نضال واستشهاد . وهذان العملان ليسا بلا فائدة ايجابية فالغاية هي تغيير خريطة الاشياء باسم صاعقة ، حيث « ينكسر جرس الليل ويخرج الشاعر كذئب الهي جديد . وادونيس لا يتخطى الليل والاخرين والاشياء القديمة بل يتخطى بحيرة لامتناهية اغنياته ويمد عتبة جديدة لحيانه التي لا تحد . فهو وان احب حدوده فهو يكرهها . لقد فقد ادونيس ايمانه بثبات العلاقات . لا ايمان . كل شيء يتحول . اننا كقطرة الماء تسرع ولا تعود . كل شيء يجري يجري اما الشاعر فيعرف المصير الكيميائي . لذا فالشاعر وحده يصرخ بالعالم : انني اخون جمودك . ذاك ما يجب فهمه في لغة ادونيس حين يقول :

« ايها العالم الذي خنته واخونه »
او « انا لا اخشى الغريق الابكما »
او « اهربوا فانا من هناك
جئتكم فلبست الجريمه
وحملت اليكم رياح الجنون »

يحمل رياح الجنون ليهيج الاشياء والبشر ضد قدرها الحقير البسيط لتثور وترتفع لتهدم وجه الارض وتبني وجه الحياة الاخر . انسان ادونيس لا يختار . انه متمرد يتردد . انه متمرد ولا يؤمن . وحيث يبدأ الشك والتردد يبدأ الشعر .

« تريدون ان اكون مثلم » . انه يتوجه الى من جمدوا تحت غيمة السقوط ليحركهم فيخاطبهم كنبي مبشر ، طرح هموم الحب والمرأة جانبا ووعى قضية بلاده ونكساتها : « اهيج الضياع واهيج الآلهة » . اجل يهيج الهدم والبناء ، الماء والحجر ، الحجر والثمرات .

وهو ، كشاعر ، لا يجبن امام التصرفات السياسية الرعناء التي تدينه وتحاكمه فيصرخ في وجه الشرطي ـ رمز السلطة والتحكم السياسي ـ :

« سيدي أعرف ان المقصله
بانتظاري
غير اني شاعر اعبد ناري
واحب الجلجله »

نقاء الشاعر ناري ، والنار تبقى ، وحيث تبدأ الجلجلة تبدأ الثورة بكبرياء . وصليبا المحبة والنقاء يقودان الشاعر الى الموت تاركا للعصافير ـ للاطفال والاحرار ـ مرثية محترقة .

الشاعر هو صديق الاشياء ، بعيدا عن الخرافات والخزعبلات. الشاعر ابن الاشياء ، ينتجها وتنتجه . وحيث يسود وجه بلاده ولا نور في عينيها ، ولا ابتسامة تضيء ، يتغرب عن بلاده لا لينتقم منها بل ليراها فهو يقول :

« لارضي خبأت بين جراحي
غدي ورياحي »

لادونيس قصيدة مهمة بعنوان « رؤيا » صفحة ١٥٨ من اغاني مهيار الدمشقي ، تمتاز هذه القصيدة بوحدتها التعبيرية وامتلائها الشعري . فهي تعبير عن حسرة الانسان الذي هربت مدينته فتغير وجه الاشياء .

« هربت مدينتنا
فرأيت كيف تحولت قدمي
نهرا يطوف دما
ومراكبا تنأى وتتسع
ورأيت ان شواطئي غرق
يغوي وموجي الريح والبجع »
« هربت مدينتنا
فرأيت كيف يضيئني كفني
ورأيت ـ ليت الموت يمهلني »

ذاك ان الموت هو المحول الاول ، وهو باعث الحسرة الانسانية الرئيسي . الموت يعني الجمود والتوقف ، يعني الانفصال عن الخلق والحب والوعي والصمود . الموت هو الصدمة الكبيرة . الصدمة الكيانية الوحيدة ، التي ينضم تحت لوائها عدد من النكسات لا توازيها. لا شيء يضاهي الموت . والموت لا يوقف سير الشاعر . الشاعر هو المتوغل بشراسة في العالم . انه الباحث عن جوهر الاشياء والاعماق.

ـ التتمة على الصفحة ١٣٠ ـ

مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق٠ ل

- المثقفون ـ رواية جزآن
  ترجمة جورج طرابيشي ١٤٠٠
- انا وسارتر والحياة
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس ٤٠٠
- مغامرة الانسان
  ترجمة جورج طرابيشي ١٥٠
- الوجودية وحكمة الشعوب
  ترجمة جورج طرابيشي ١٧٥
- نحو اخلاق وجودية
  ترجمة جورج طرابيشي ٢٢٥
- بريجيت باردو وآفة لوليتا ١٥٠
- قوة الاشياء ـ جزآن
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس ١١٠٠

منشورات دار الاداب

ادونيس شاعر التعرف

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٥٥ ـ

«ابحث عن شمس نفيم في العيون ، عن عيون ترى الضوء
كل الضوء »

« اه ايها البحث يا وعائي »

ويبلغ ادونيس ذروة حيرته حينما يصرخ :

« نموت ان لم نخلق الآلهه
نموت ان لم نقتل الآلهه ـ
يا ملكوت الصخرة التائهه »

هذه الصرخة تربطه بالمطلق والغيب وتجعله يرتفع فوق نفسه ليرى انه الحيرة حقا . يذعن ويحار مهما فعل . يغفو أو يتمرد يصرخ بالرفض الحاضر فينصرف وينادي الرفض الغائب « ايها الرفض اكتشفنا » . ذاك ان الضياع الذي هو في اساس البحث الخلاق « يخلصنا ويقود خطانا » .

« الضياع ألق
وسواه القناع »

هكذا لا يتوقف . يعيش في الحطر والقلق بحثا عن شفافية جديدة. يعيش ويحب فلا يجد من يحبه فيتنهد بحيرة أبدية « هل كثير اذن ايها الموت ، ان احب نفسي ؟ » وهو غير متأكد من حب نفسه او اي شيء اخر . هكذا بالتغير والسحر والتحول يعلن لا تخطىء الاشياء لبعضها البعض والانسان للانسان .

« من انا ، اي هوى احيا له
افقي وعد وعيناي انتظار
يتصباني غد لم ينجبل
واذا لافتني الشمس احار »

الاعماق هي وعد الشاعر . والوعد ثبات واخلاص وارتباط. الوعد التزام والانتظار انفتاح وتطلع ، ومع هذا فهو يحار اذ تلافيه الشمس التي ينتظر . وبكامله الصوفي العميق يرى ان بامكانه ان يتوحد بالكون فاذا توحدا صرخ :

« وحد بي الكون بحريتي
فاينا يبتكر الثاني »

او « يا يد الموت اطيلي
علني اكشف كنه المستحيل
وارى العالم قربي »

المهم بالنسبة له هو الاقتراب من العالم . كل شعر ادونيس هو محاولة في افتحام النفس وتخليدها. وما تعرفها وحيرتها سوى وسيلتين لمساعدتها على التحول .

« يريد ان يخرج من نفسه
ويحضن السماء والارضا »

وهكذا يصير الانسان نفسه يصير « رمحا تائها وربما يعيش بلا صلاة . » و « نلمح روحنا في بريق شفرة او على طرف خوذة » فيا « ايها المطر الذي يغسل الجيف ترقق ايضا واغسل تاريخ شعبي. ». هذا الشاعر العربي يقوم وينتقد تاريخ بلاده وانحطاطها بجرأة ودونما خوف فاخلاقيته لا تعرف المداهنة .

« هوذا اعتراف الرمح التائه
هوذا انا
اقتلني ايها الصدق »

بلاد الشاعر لا تكتمل وروحه بعيدة ويصرخ بالشاعر « من كهوف الحجر ايها الشاعر اخرج ... واشهد لشعراء يسكنون وطنا لا اسم له ، وطنا منفوخا بالجثث ، لشعراء يقرأون قصائدهم للعشب » .

ثالثا ـ شاعر التحول :

في كتاب التحولات والهجرة ... يبدأ ادونيس مرحله جديدة يتخلى فيها عن تحكيم العقل وعن غنائيته المعهودة ، ليدخل كلا عالم التحول : عالم السحر حيث لا يبقى للعقل سوى دور ثانوي وللعين العادية سوى ان تسكت . وردة القلب تتفتح بعيون جديدة لترى ولاده عالم اخر ، عالم مبني مراد وغير مراد ، عالم رابع لعالمين : عالم الشاعر وعالم الاشياء . في التحول يصير كل شيء بريئا لانه يبطل ان يكون هو فيصير نفسه وسواه . هنا فلسفة المشاركة تقلب فلسفة التشخص. الا ان ادونيس يصنع ، خلال التحولات صقر ذاته وقلبه وعينيه ،يجسد نفسه ، ينفتح ، يتأرجح يشع يحترق ويولد . هكذا شاء نفسه .

« ينبغي ان اسافر في الجوع في الورد نحو الحصاد
ينبغي ان اسافر ، ان استريح
تحت قوس الشفاه اليتيمه »

فمن زهرة الكيمياء ـ الكيمياء اي مقدرة الاشياء على التحول ـ يبرز الشعر كزهرة لكل تحول . والشاعر هو قبل كل شيء . في البدء كان الشاعر والشاعر كان التحول والتحول كان الحياة .

« قبل ان يأتي النهار ، اجيء
قبل ان يتساءل عن شمسه ، اضيء »

الشاعر يبادر كل شيء ويفاجئه ، يسجنه ويحرره ، يصيره ، يسكنه ويغيره وحتى تتم هذه الولادة يجب ان ننجذب نحو الاشياء وان نربط خيط روحنا بخيط جوهرها . والماء رمز الخلق والاحياء تبدو توأم ادونيس وهو رحم للماء والماء رحم له . فكيف يولدان ؟

« صرت انا والماء عاشقين
اولد باسم الماء
يولد في الماء
صرت انا والماء توأمين »

لا داعي بعد الان للتمييز بين العاشق والمعشوق . فبمجرد ان نفرق نفقد الحب قداسته والشعر سحره ، والاغاني ارتجاجها والموسيقى فعلها . يجب ان يكتمل كل شيء ويمد جذوره للاعمق حيث تعدر الاعراق ان تنتحب وحيث يقدر الشاعر ان يموج «كالضوء بين السحر والشارة».

ومن يرث هذا المتحول ، الذي هدم بيته الذهني وهدم بيت شيخوخته ليتخطى زمن الانسان ويعلن زمن الشعر ، مجد التراث ويعلن مجد البحث ، مجد الرمل ويعلن مجد الماء . من يبحث عن الشاعر الراحل ابدا ، الذي ينتقد الحياة بعمق ويكشف قناعها ويرسم وجهها. من يفهم ما لا يأتي ، الغائب ـ الحاضر بألوهة وشعر ؟

« عائلتي لم تنتظر مجيئي
راحت .
فلا نار ولا اثار ... »

سيعيش في بلاد عجيبة ، في « بلاد الفصون » ولن يرجع بعد اليوم . عرف كل شيء وتردد في اختيار اي شيء سوى التحول . سيمتد شاعرنا كبذرة تحمل النبتة وكل شيء ممكن فيها . الشاعر جوهر الكل . انه الصقر ـ كما يرى ادونيس ـ . الصقر يرى ان « النهار حجر ينقب الحياة » والصقر هو الناظر من اعلى ، المدبر شؤون الاشياء . الصقر هو سيد المواقف والافعال وهو رفيق الاعماق ونداء التعالي والارتفاع . الصقر هو القوة القادرة على التغيير. الصقر هو الشعر المحدق بعمق ، الطائر ابدا الحي ابدا .

« غير رنينك يا صوت
اسمع صوت الفرات :
ـ قريش ...
اؤلؤة تشع من دمشق
يخبئها الصندل واللبان
ارق ما رق له لبنان
اجمل ما حدث عنه الشرق »

قصيدة الصقر هي اول عمل فني لأدونيس يتميز بكونه شعرا مخلوقا ، جماليا ومتحفيا . هذا الشاعر لا يعتمد الحادثة اليومية ولا الاحساس والانفعال المباشر . انه شعر تأملي وليد الصمت والتبصر . وليد العقل لا الحدقة ، وليد المخيلة لا الذاكرة . هذا الشعر يدفع الاشياء لتتناغم لا كما تعودنا على ذلك بل بطريقة جديدة . مثلا :

« كانت الارض اضيق من ظل رمحي ـ مت
سمعت العقارب كيف تضيء هديت القطافي المجاهل ـ مت
تلبدت بالارض اكثر صبرا من الارض ـ مت انكببت
على كاهل الريح
صليت
وشوشت حتى الحجار . »

ذاك ان الشاعر يعيش في صدفة الفجيعة ، ويصعد بروح الحياة كوكبيا دائريا وهرميا ، يصعدها بشتى الاشكال ولا يصل ، اذ انه يظل في الفجيعة بعد التحول :

« صاعد لبروج التحول حيث الفجيعة »

وذلك عائد لكونه باحثا عن الشاعر الذي لا يصير . الشاعر ـ المعجزة ، الذي يغير الاشياء بقوة الكلمات والدم والاعصاب ، الهاجم كالصقر ليفترس (في الاعماق) ويرتفع ويحول طرائده في الاعالي .

« لو انني اعرف كالشاعر ان ادجن الغرابه
سويت كل حجر سحابه
تمطر فوق الشام والفرات »

وتتسع حدقة الشاعر وتكبر حسرته ـ وفجيعة التحول التي يعاني ـ حينما يلتفت الى بلد « كان اسمه دمشق » ويرسل الزفرة المتمردة، او المرثية الفاغرة :

يا امرأة منذورة لكل من يجيء
للحظ او للعابر الجريء
نرقد في حمى وفي ارتخاء
تحت ذراع الشرق .

وتحول دمشق المفجع ، الى مكان موبوء يلجه السحرة والمشعوذون، دفع ادونيس الى الحيرة والغيرة الفكرية العميقة ـ غيرة الانسان الباحث عن جذوره الحضارية الجديدة ابتكارا لا استردادا ـ واكتفى ببقاء دمشق في دمه اكثر من نفسه ، بقاءها كمرثية حية :

وقلت : لا ، فلتبق في حنيني
وفي دمي دمشق
وقلت : لا ، فلتحترق دمشق
واستيقظت اعماقي القتيله
مذعورة تصيح : وادمشق

رغم كل ما آلت اليه دمشق فهي ما زالت في ضميره حية ابدا وهو يسترحمها بعطف صادق حميمي ومنقد :

« يا حب ، لا ...
عفوك يا دمشق
لولاك ، لم اهبط الى الاغوار
لم اهدم الاسوار »

العودة هنا انفتاح على روح جديد لجيلنا القلق ، جيل الرماح الضائعة والاغنيا تالليلية الحائرة . العودة خلاص والبحث عن البلد الحر الكبير في ارتفاعه وعلوه هي احدى ميزات الشعر الادونيسي العظيم . البحث عن دمشق هو البحث عن الارض الصلدة التي يقوى عليها الكائن ويرى نفسه بعمق حضاري مستقبلي . الرجل الادونيسي مستقبلي ولا تاريخ لها . انه ضد تاريخه وانحطاطه . انه جسر رغم كل شيء وهو ضحية تضاف الى ضحايا مرحلة الانتقال القاسية التي نعانيها جميعا بما يشبه اليأس لكن بأمل وتفوق . ان ارتفاع الشعوب حضاريا وفكريا صعب وادونيس يترفع عن ضرب همتها بل يفديها حيث يغدو الحزن صديقه والجرح اخاه ، الا انه يتابع سيره بكبرياء لتنتصر قضية الشعوب المكافحة في سبيل اللقمة والحرية والكرامة .

« كان صوتي نبيا رميت على شمسه ردائي
كان شمسا من الدمع مجروحة ورائي »

وحين تأبى العلامات مبشرة بالتحول ، معلنة تغيـــر الطقوس الانحطاطية وظهور القرن الجديد ، ويوم الانبعاث الانساني ، تتحـول الاشياء لتعلن اخلاصها للانسان المتحول :

« كان ان صارت الجرار
لغة الماء والعيون
كان ان اصبح الجنون
فرسا للنهار »

الشاعر ينوغل باسمه وباسم تردده وحيرته المضيئة ، باسم قلقه يبلغ الاعماق ويكشف الجذور التي تعطي الثمرات والصخور التي تفجر الماء ينابيع وانهرا . الشاعر يتفرد بتعمقه الادغالي ، بتعمقه الكئيب المشرق ويرى جوهر العلاقات ويرى أن النهر وحده الحياة فيجري معه:

اقرع اجراس الدم الخفي
تحت رداء الارض
اصعد في المشاعل المقيمه
تحت جليد الرفض
اجري مع الفرات .

ويعود الى بغداد ـ المدينة المنتظرة بعد التحول ـ بطريقة ساحرة ايضا حيث يبطل العقل والولادة المألوفة ، يبطل التناسل الجنسي وركوب المطايا ، يبطل العالم القديم في التحرك والصيرورة ويحل محله عالم جديد . يصل الشاعر الغريب الى مدينته المنبعثة بطريقة نادرة :

جئت الى بغداد
في شعف النخل وماء النهر
في رئة العصور

جاء اليها بواسطة العالم ـ الرحم الاكبر ـ . جاء اليها مع الحياة وكالحياة سيعرفها ويرفعها . يأتي الشاعر ليعيش مع الفقراء ويقرأ معهم كتب الانسان ـ حيث يكون مجده الابدي ، الحرف القادر على تغذية المادة ودفعها للتحول . وفجيعة التحول ناجمة عن ضياع الاخرين في نهر من الخزعبلات والخداع والكذب ، نهر من الورم اللااخلاقي الوثني . الشاعر يرى مشاهد الضياع والبكاء والانبعاث فيكتب :

ورأيت الحشود الفقيره
جدلت كالضفيره
وقرأنا ، كتبنا معا ، وعرفنا
اننا المالكون اليتامى
وصرخنا ، جعلنا مقابر آبائنا، وجعلنا الايامى
وبراكيننا السجينه
نهرا يغسل المدينه .

والشاعر ، حامل لواء المأساة في عصرنا (مع سواه) يبكي بدم هذه الغربة في الروح ، الغربة خارج المعرفة والتأكد والانارة، الغربة بعيدا عن اللقمة والكتاب والدواء ـ الغربة المتجسدة في عدم المساواة اما الحياة والموت ـ .

يأتون في نهر من الرؤوس والدماء
ويصعدون الحائط القصير
وهو وراء الباب
(يحلم ان يظل كالاطفال خلف الباب)
يقرأ فصل الجائع الاخير

عندما يقرأ كل شيء ويعيش فصل الجائع الاخير ، لا هم ان ذكر الشاعر او تناساه احباؤه واعداؤه ، لا بأس ان تناساه شعبه :

« لا فرق ان دنوت او نأيت ـ
مملكتي في الضوء
والارض باب البيت »

وبعد ان يرحل الشاعر المغترب في اعماقه المتحول في الاعالي يلاقيه الصباح ويحمله بسحر حيث يودع قبره ويعود .

***

كان ادونيس قد ابعد في « اغاني مهيار الدمشقي » المرأة كموضوع شعري مهم ولعل ذلك عائد لكونه مغامراً من نوع اخر . ففي قصائد اولى لا نجد شعرا كثيرا عن المرأة . اما في كتابه الاخير ، كتاب التحولات ، فاننا نجد قصيدة فاصلة بين ادونيس المرتفع بنبوة وسحر وبين ادونيس المتحول بوافعية الاشياء وحاجاتها . لقصيدة « تحولات العاشق » اهمية خاصة . فهي قصيدة جنسية طويلة لا نجد لها مثيلا في التراث العربي . وهي قصيدة نثر وهكذا فهي ضرورة تعبيرية جديدة تمكن الشاعر ان يقدم نفسه كانسان ، وكان في القصائد السابقة قد قدم نفسه كشخصية ثالثة ، تارة وهمية ضبابية وتارة واقعية كما في الصغر . ليست مهمتي هنا ان اناقش موضوع قصيدة النثر ودورها . بكلمة عند ادونيس تفرض قصيدة النثر نفسها قبل اي نوع اخر من الشعر . لهذا فهي بنظري مهمة وضرورية عند هذا الشاعر . التحول يبلغ ذروته في هذه القصيدة ولا يخفى ان ادونيس قد اخذ الشيء الكثير عن تراثنا العربي الشعري والسحري والكيميائي حتى يمكن من بنائها ، اما روح القصيدة فهي خاصة . يقول :

« فجأة اورق نبات عريب واقترب الغدير الواقف وراء الغابات
رأيت ثمارا تتخاصر كحلقات السلسلة
وبدأ الزهر يرقص
ناسيا قدميه والياقه
متحصنا بالكفن »

المرأة تكبر انى يتجه الشاعر ـ الانسان . المرأة تكبر في الاعماق كضمير شخصي وتتفتح كالنبع وتستسلم كالشجرة . مع هذا كان الشاعر يحسب المرأة شيئا اخر :

« احسب نفسي موجة واظنك الشاطىء :
ظهرك نصف قارة ، ونحت ثدييك جهاتي الاربع »
« اجمع بين القمر والشمس
وتقوم ساعة الحب »

فجأة يغيب الرجل والمرأة في اسطورتهما البارعة ليخلقا ، ليتألقا او ليظهرا :

« نصبين سريرك أو نفرشين الارض
نزرع اشجار الجسد ، نتغطى باصواتنا
الى ان يحين ميقات الظهور . »
« بعد هذا نتفيأ سرادق الحوض
حيث يستدير كوكب الجنس
يكتمل التحول
يصير ثدياك الليل والنهار »
« تخرج الينا الدنيا بفتة
تقول
نبتت شجرة الروح في الارض . »

هنا لا يستطيع الناقد ان يقول شيئا . كل شيء واضح للغاية ، العملية واضحة والروح هي العالم الثالث هي ما يربط النقيضين ـ الرجل والمرأة ـ وكل ما يربط النقيضين على طريقة التحول هو روحي عند ادونيس . الشاعر اللاهوتي انتهى وبدأ فصل الانسان المتحول .

« .. ماذا رأيت ؟
ـ فارسا يقول : « لا تريدين شيئا الا كان » ...
فلما رأيت اني لا اريد شيئا الا كان ، خفت واستيقظت
وكنت على وسادتي »

فصل الانسان الذي يعيش في الحلم كما في اليقظة ويصنع المعجزات عملا وحلما ، فعلا وشعرا ، تتعانق الكلمات والاشياء وفي وحده كاملة يولد عالم جديد ، عالم التحول والحياة والحركة ، عالم هيراكليطس .

« وصلت
رأيت الجبل بحرا والبحر اشجارا مسحورة .
جسدك مدينة ؟
طلع منه الخدم صفوفا صفوفا تحت مفاور العنق وقوس
الاهداب وانطلقت البشائر بقدومي
كل جارحه صلت شباكا
كل نبضة عاشقة »

هنا يصل الشعر الادونيسي الحلم بالسحر المطلق ، بالكيمياء الخالية ويبطل العقل ، يبطل منطقنا العقلاني ليحل محله المنطق البدائي ـ حيث يبدأ كل الشعر الادونيسي .

« سحر اخر يضيئنا لا الشمس
نبع نتغمس فيه نغسل غبارنا »

ما يبحث عنه ادونيس هو ما لا يحدث ، هو المخبيء : الكنه ، جوهر الاشياء والعالم جوهر الحب والبعد ـ يبحث عن الاشياء الاخرى في الاشياء .

« آه ايها الحب الاخر في الحب
ايها البعد الذي يبدأ بعد الابعاد ، يا حبيبتي »

ومن الجوهر « من اعماق الاشياء الفانية اعلن حبي » لان الشمس جاءت وهربت الشاعر ، دخل كل شيء في الشمس . كل الاشياء تسير اذن في اتجاه الشاعر . الشاعر هو المحور والمحرك . ومأساة الحب كبيرة في حياة ادونيس وشعره . كل شيء يرشح فجيعة وينز دما وحزنا عريقا .

« .. ماذا اعددت لي هدية اخيرة ؟
ـ قميصي الذي لنا يوم تزوجنا ، وسأنزل معك الى القبر لاهون عليك موت الحب »

ويتمنى الشاعر « لو تخلط شفافية المرأة بشفافية السماء
لو يصير العالم حجرا مسكونا بالجنس »

وقد رأى ادونيس ان لا بد من حجر للجنس ، ذاك ان المرأة نصف صامتة وخجولة كحجر . فبين الصمت الذي لا يجدي والحيوان الهائج تبدأ المرأة . لكن مهما اكتشفنا بعضنا فسنبقى مغلقين .

« اغلقي ، كل اصدافنا تظل وان كسرت مغلقه »
« المرأة بيت موقت للرجل البيت الموقت
الرجل غد الرجل ، المرأة مستقبل المرأة »

شعر في منتهى البساطة والوضوح . ويتخذ ادونيس موقفا من المرأة معاكسا لموقف بعض الشعراء الذين يعتقدون ان المرأة مستقبل الرجل وبالعكس . رغم انه لا يؤمن بمستقبل الاثنين يرى ان يبدأ الصفحة التالية وحينما « نستيقظ ويجري كلانا وراء رأسه » يحس كلا المحبين بأنه مسؤول وحده عن وجهه مهما اتحد بالاخر وارتبط به او

فندق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار معتدلة

بادارة : حلمي المباشر

احبه . الحب لا يبريء . الحب لا يخلص ، الحب لا ينقذ ـ مع هـذا فلا بد ان نحب .

« وقع في قلبك الموت فاستنيري بالموت »

في افاليم النهار والليل تجربة جديدة ايضا وفيها يبـرز انموذج الانسان الاكثر سحرا ، الذي تجيء اليه الاشياء برزانة فيتناول حاجته كمن يملك الفانوس السحري ويقضي وطره ويأمر الاشياء ويرى شخصا في الهواء يناوله رغيفا وحين يسأله « هـل ترافقني ؟ » يجيبه « اذا رأيتني مرة » ثانية ، « لا تكلمني » . هـذه بدعة او غلاف يصطنعه الشاعر ليتجنب مأساة مصيره .

« افرع ايها الزمن افرع
يلزم صبر الحجر
تلزم شجاعة القبر »

« اشهد مسرح النهايات ،
نهاية الشمس والهواء
« نهاية الثقوب التي تربط النفس بخيط الاشياء الحبلى بالاشياء
ونهاية الجنين »
« اربعش ، يسقط من كل رعشة كتاب »

كأي بطل عظيم عائد من قصص « الف ليلة وليلة » السحرية يبرز بطلنا هنا بوجه شعري حديث ، الشاعر يفدو علاء الدين المحول . فهو وحده المتخيل البارع ، القادر على تغيير مجرى الاشياء بوهم او بعمق ، بخيبة او بصدق .

والسؤال الذي نطرحه هو : هل يمكن تحويل الاشياء بواسطة الكلمات ام بواسطة الاجساد الخلافة ؟ اننا لا نفصل الكلمات عن الاجساد اذ تفعل الكلمة في الشيء والشيء يساعد على خلق الكلمة والانسان هو الرابط السحري بين الاشياء والمشاريع الحضارية .

« افطع العقم النابت في النجوم ، في الشجر المسبح هادئا وديعا
وادعو ما حولي ليشاركني الولادة :
اصير شيئا من المكان »

والشاعر يختلف عن علاء الدين الذي يستعمل فانوسه ليبهر القرينة ، اذا جاذبته ويتملك حبيبته وكنوز الارض ويحول مجرى تاريخه . موقف الشاعر مختلف عنه جوهريا اذ ان مأساة هذا الاخير ميتافيزيائية قبل كل شيء ، انها مأساة الارتفاع او الهبوط ، الصدق او الخيانة ، الالتزام او عدمه ، مأساته مأساة اعماقية وكيانية حية . وهو الجائع الذي لا ينتهي ، الجائع الخالد :

« وسوف اعتصم بجوعي ،
لن اشبع
لن آكل الا موتي .
... هل انا وحش الحقيقة في هذه الخرائب حولي »

ذاك هو الفرق الجوهري بين الشاعر الادونيسي وعلاء الدين . هذا الاخير محول وهمي ، والاول جدي رزين ومسؤول ، انه وحش الحقيقة لذا فهو الباحث الملتزم وكل محاولة ادونيس في اقتحام نفسه مكرسة لتعيده الى نفسه بعد ان يتم التحول :

« ثم اتراجع اتلملم اتجمع
واسقط في نفسي ناضجا وعموديا »

وعندما يسكن الشاعر نفسه بعد هذه الرحلة الطويلة ، متوغلا ارحام الاشياء يولد معها ولها ، تولد معه وله ـ يولدان معا : الشاعر والشيء ، تتغير علاقته مع الناس الضائعين في قشور الاحداث دون البحث عن جوهر العالم .

« اسمع ان حولي اناسا يتناسلون ، يموتون
يحاربون ، يحلمون
ولا اراهم .
... الاشياء وحدها تراني »

الاشياء حية خلاقة ولها طاقتها الخاصة لذا فهي على علاقة حقيقية مع الشاعر الحي الخلاق ذي الطاقة الضخمة ، فعلاقة الشاعر مع الاشياء هي علاقة موضوعية ، مهما تبودلت الاحاسيس والمشاعر . فالشيء لا انساني والحياة الشعرية تمأرجح بين الشيء والانسان بين السحر والعقل . فعلاقة الشاعر مع الاشياء هي علاقة الساحر مع وسائله . حينما يجف نهر ما ، يأتي الساحر ويسكب قليلا من الماء ، فالماء يجذب الماء ، ويقول للنهر هوذا جوهرك فامتليء . فهل تخلق الكلمة الماء ؟ الشاعر لا يهتم بالجواب . لا يهمه تغير الاشياء قدر ما يهمه تغيره هو . انه لا يشك بنفسه .

« ارى السماء اثنتين
الارض اثنتين
الا انا ـ
ابقى واحدا »

السحر له دور انتقالي فقط . انه يساعد الانسان على تجاوز نفسه الرخامية الى نفسه الخفيفة .

« وداعا ايها الجوهر الثقيل يارخامنا البشري
وليأت العابر الخفيف . »

« هكذا اعبر كالزجاج ، شفافا ولا ظل لي »

وحين ينم هذا العبور يكون الشاعر قد صار الاله حقا . وكأنه يرى صديقه يذبحه . وكأنه يكتشف الاخرين وهو ضائع لا احد يكتشفه . وهذه فجيعة شخصية يعانيها الشاعر والمفكر في بلادنا .

« من ثلاثين عاما اضيع واكتشف الاخرين »
« .. اعرف ان الطريق
لغة في شعوري لا في المكان »
« لاكون جديرا بنفسي :
اتخطى ،
واستحدث الاخرين .
« اضع نفسي خارج كل شيء »

نرى ان هذا المقطع الاخير يتوافق مع فكرة وجود الاله . الشاعر هو الاله كما يرى ادونيس .

« نقدم ، تقدم يا عصرا يكون فيه الانسان طقس نفسه :
السقوط والله ، الارض والجنة ، القائم والقيوم »

نلاحظ عودة ادونيس الى علو مهيار الغريب المتردد ، مهيار الانسان الالهي او الذئب الالهي الجديد ـ حيث يكون ذئبا بالنسبة لاخيه .

« لكن ما هذا الخوف ؟ ما جئت لالقي الخوف بل التغير »

انه كاله جديد مختلف عن آلهة الاديان البشرية ، انه لا يعاقب . كل شيء مسموح شريطة ان يتم التغير . فحيث هناك خوف هناك عقاب. وهذا لا يعني ان ادونيس يبيح كل شيء لكنه يبغي خلاص الانسان من

منشورات « دار الاداب »

تطلب في القاهرة

من

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب

(سليمان باشا سابقا)

مخاوفه ودفعه للمغامرة والحياة في التاريخ وضده ، في الحضارة وضدها ، دفع الانسان الى ابتكار نفسه في المنطلق الاساسي الذي صادفناه في « قصائد اولى » كما في « مشروع لتغيير الاشياء » او كما في « كل شيء عندنا ينحت صدره » رأينا ان المهم في رسالة الشاعر هو اثارة الاخرين ودفعهم لابتكار مناخ روحي جديد ، لانتهاج طريق جديدة ورفع اهداف وقيم تتلاءم مع روحية العصر . فشاعرنا بهذا المعنى هو حجة ضد عصره المنحط ، انه غيمة تمطر فوق ارضنا ولتنته صحراء الانحطاط ولتربو شمس الاعماق ، ادونيس شاعر متميز بولهه للاقاصي ، انه غريب ويكتشفنا بحياد وحب . انه جريء ويتردد ليتوصل بعمق الينا . وهو محول بين المحولين الكثيرين في بلادنا الطالعة كقارة روحية جديدة .

***

حينما قسمت دراستي هذه الى ثلاثة اقسام لم اقصد ان ادونيس ذو ثلاثة وجوه ، لادونيس وجه واحد فقط هو التطلع . اما جذوره فكثيرة ، التعرف والتردد والتحول هي جذور ادونيس ، اما الروح فهي ارضه والمتمردون المحولون للعالم بثورة واخلاص وصدق فهي رفاقه .

وقد استعملت اللغة الشعرية التي قد تضايق القاريء ، اخلاصا مني لاسلوبي في الكتابة عن الشعر . فالشعر لا يفهم بسهولة . ولغة الشاعر لغة شيئية بعيدة عن التجريد العقلي وهنا الصعوبة في فهمها . عندما يستعمل الشاعر كلمة الارض فهل يقصد بذلك الكرة الارضية ام الروح ام أي شيء اخر ؟ عندما يستعمل ادونيس كلمة « النار » او « الحجر » او « الرفض » فهذه الكلمات لها معنى عميق لا يفهم الا من خلال الكل ، لذا فالعودة الى كتابات ادونيس مهمة جدا لفهم شعره . وقد تركت عامدا كتابا لادونيس بعنوان « اوراق في الريح » لاننا نجد قصائده المهمة في هذه الكتب الثلاثة ـ وهذا رأي شخصي كناقد ـ .

هذه محاولة في التعرف على وجه ادونيس لا عملية تقييم لكل شعره . هذه نظرة فقط . نظرات اخرى ضرورية . فلا بد ان ينظر الى ادونيس تاريخيا والى قيمته بالنسبة لشعرنا العربي القديم ولشعرنا العربي الحديث وينظر اليه فنيا كمجدد لغوي هائل ، وكبناء لعدة اشكال القصيدة وزنا وشعرا حرا ونثرا ، وهو الى جانب ذلك مهم جدا كصاحب لغة شعرية مرهفة وحساسة وغنية غنى الاشياء ، وادونيس شاعر عربي ، بالمعنى الحضاري لكلمة عربي . فهو ليس عربيا جغرافيا او سياسيا . انه عربي تراثيا وحضاريا وفكريا واجتماعيا . انه عربي بمعنى انه ملتزم بحرية شخصية لقضايا الشعب العربي ويؤمن بنضاله، انه احد الشعراء المتمردين على انحطاطنا الشرقي . انه رفيق سليمان العيسى المبشر بموكب النور . الا ان هذا الاخير كان شاعر ايديولوجية والاول غير عقائدي ولا يؤمن بالدعايات السياسية المضيعة ، انه انسان الجذور . والثاني انسان الجماهير .

في شعر ادونيس لا تنعدم الحادثة اليومية او التاريخية . الا ان شعره قليل الحرارة بعض الاحيان ، وذلك عائد لرزانته الثقافية وتعمقه ولاتجاهه الشخصي . وقد الح ادونيس كثيرا على الناحية السحرية حتى كأن العالم سحر . صحيح . اذ ليس بأمكاننا ان ندرس الكون بطريقة موضوعية . ما هو الممكن ؟ التأمل والتفلسف والاحساس بالرهبة والمسرة امام هذا الامتداد الكوني المرعب ، امام هذه الالوهة اللامتناهية .

شعر ادونيس شعر عربي كلاسيكي بمعنى انه مرتبط شكلا بكل الاساليب العربية من ابي تمام الى كتاب الف ليلة وليلة وكل الصوفيين . وهو جديد بروحه ونبرته وتوهجه . ادونيس شاعرنا العربي العالمي الذي يمكن تقديمه باعتزاز مترجما الى الغرب ، لقد نقلنا كثيرا من الغرب الى الشرق والان باستطاعتنا ان نقدم للعالم ادونيس والبياتي والسياب وحاوي كشعراء الى جانب اخوانهم في القصة والابحاث العلمية المهمة في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ولبنان وسواه .

فرنسا « جامعة ليون »

خليل احمد خليل

في السوق

للكاتب الانكليزي الشهير

كولن ويلسون

ضياع في سوهو

ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق

رواية رائعة صور فيها مؤلف « اللامنتمي » تجربة نابضة بالحياة قام بها شاب بين غرباء الاطوار والفنانين في احد احياء لندن الشهيرة ، بلهجة جديدة هي سر ابداع الكاتب الذي تترجم آثاره الى جميع لغات العالم .

وقد حصلت « دار الاداب » على حقوق ترجمة هذه الآثار الى اللغة العربية ، وستقدم بعد هذه الرواية عددا من كتبه الجديدة التي صدر بعضها ولم يصدر البعض الاخر باللغة الانكليزية .

الثمن ٤ ليرات لبنانية .

منشورات دار الآداب